

## الفصل الخامس عشر

ولزمتُ النافذة أرقب منها الدار أثناء النهار وأوائل الليل، كأنما وكُلت بحراستها أو تتبع ما يجري فيها. وما هي إلا أن أعرف مواعيد غدوّ الفتى ورواحه، وخروجه من داره للسمر إذا أقبل الليل، ورجوعه للنوم إذا انقضى من الليل أكثر من ثلثيه، وإذا أنا قائمة إلى النافذة في هذه المواعيد أراه حين يخرج، وأراه حين يدخل، ولا تطمئن نفسي لأمر من الأمور أو عمل من الأعمال إلا إذا رأيته غادياً ورائحاً بعد الظهر، فإن حيل بيني وبين ذلك لطارئ من قبله أو من قبلي فهي الحياة المضطربة، والنفس المفرقة، والفكر المشرد، والقلب الذي لا يهدأ ولا يستقر.

ثم يشتد الأمر بي وتلحُّ الرغبة في هذه المراقبة عليّ، وإذا أنا أتلمس الأيام التي لا يخرج فيها من داره مع الصبح فأبقى فيها أمام النافذة أترقب ما أرجح أنه لن يكون، ولكنني أترقبه على كل حال لأنني لا أريد أن يفوتني مخرجه من الدار، كأنما اتصلت به حياتي اتصالاً، ومُدت الأسباب المتينة بين هذه الدار وبين قلبي ونفسي وعيني، فهي لا تبرح خاطري مهما تكن الظروف، وهي تجذبني إلى النافذة جذباً، وأنا أحس مع ذلك أن هذا ليس إلا أول الشر، وأن يوماً قريباً أو بعيداً سيأتي من غير شك لا تجذبني الدار فيه إلى النافذة لأراها ولأرى هذا الشاب خارجاً منها أو عائداً إليها، بل تجذبني الدار إلى نفسها لألج بابها وأعرف أصحابها، وأتحدث إلى من فيها، ولو أنني أرسلت نفسي على سجيبتها وخلّيت بينها وبين ما كانت تريد لما تأخر مقدم هذا اليوم، ولكنني دافعت نفسي عن هذه الدار دفاعاً شديداً، وجادلت نفسي في الاتصال بها جدالاً طويلاً، وظفرت من هذا الجدل وذلك الدفاع بتأخير اليوم المحتوم أسابيع بل أشهراً لست أدري أكانت طوالاً أم قصاراً، ولكنني أعلم أن احتمالها كان ثقيلاً، وأني كنت لا أستقبل النهار حتى أستيقن أن الهزيمة ستتم فيه، ولا أستقبل الليل حتى أثق بأنه لن يتقدم حتى يكون التسليم